سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

إتحافُ ذوي البصيرة

بالتعليق على

شرح ست مواضع من السيرة

للشّيخ عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (2)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في كتابه ستة واضع من السيرة:

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

تأمل -رحمك الله تعالىٰ- ستة مواضع من السيرة كما ينبغي، وافهمها فهما حسنًا، لعل الله أن يُفهمك دين الأنبياء لتّتبعه، ودين المشركين لتتركه، فإنَّ كثيرا ممن يدّعي الدين ويعدّ [1] من الموحدين لا يفهم هـٰذه الستة كما ينبغي:

(الموضع الأول): قصة نزول الوحي علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وفيها أن أول آية أرسله الله بها** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر].

فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة يعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزِّنىٰ وغيره، وعرفت أيضا أنهم يفعلون أشياء كثيرة من العبادات يتقرّبون بها إلىٰ الله مثل الحج والعمرة والصدقة علىٰ المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك، وأعظمها عندهم الشِّرك فهو أعظم ما يتقرَّبون به إلىٰ الله عندهم، كما ذكر الله عنهم أنَّهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:3]، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:18]، **وقال اللهُ تعالىٰ:** ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٠﴾ [الأعراف].

فأوَّل ما أمر الله بالإنذار عنه قبل الإنذار عن الزنىٰ والسرقة وغير ذلك هو هذه العبادات، [وعرفت أن منهم من تعلَّق علىٰ الصالحين والملائكة والأولياء والأصنام] [2] ويقولون: ما نريد [منهم] [3] إلا شفاعتهم، ومع هـٰذا بدأ بالإنذار عنه في أول آية أرسل الله بها.

فإذا أحكمت هذه المسألة الأولىٰ فيا بُشراك، خصوصا إنْ عرفت أنَّ ما في الإسلام بعدها أعظم من

---

(1) في نسخة: ويُدْعَىٰ.

(2) في نسخة: وعرفت أن منهم من تعلق علىٰ الأصنام ومنهم من تعلق علىٰ الملائكة، وعلىٰ الأولياء من بني آدم.

(3) في نسخة أخرىٰ.

الصلوات الخمس ولم تفرض إلا في ليلة المعراج[1] سنة عشر بعد حصار الشِّعب وبعد موت أبي طالب وبعد هجرة الحبشة بسنتين.

فإذا عرفت أنَّ تلك الأمور الكثيرة الكبيرة والعداوة البالغة كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة رجوت أن تعرف المسألة بحول الله.

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

وأشهد ألا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له الحق المبين، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله سيِّدُ ولد آدم أجمعين صلىٰ الله عليه..

إذا كان يأتسي برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدُّعاة إلىٰ الله علىٰ بصيرة من بعده، وأئمة ذلك أصحاب نبيِّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي عنهم، ثم أئمة التَّابعين، ثم سائر الأئمَّة ودعاةِ الحقِّ من أهل القرون المفضَّلة، ومَن بعدهم ممَّن هم أئمَّة الهُدىٰ ومصابيح الدُّجىٰ، يجب عليه أن يفقه دعوة محمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإنّ الميزان الذي تُعرض عليه أعمال المُنتسبين إلىٰ الدَّعوة وأقوالَهم هي سيرة محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنَّته في دعوة الناس إلىٰ دين الله الخالص من شَوْبِ الشِّرك والبدعة والخُرافة.

فمن كان علىٰ ذلك فهو داعية إلىٰ الله علىٰ بصيرة، وإلَّا فإنَّه أحدُ رجلين:

- رجلٌ جانب ما كان من دعوة الحق ومنهج الصدق عن جهلٍ.
- وآخر عرف الحقَّ وابتغىٰ غيرَه سبيلا.

فالأول: حقّه علىٰ إخوانه المسلمين النّصيحة، وتبصيره بأن ما يسلكه في ميدان الدعوة إلىٰ الله هو علىٰ جهل وضلال، وليس من الرّشاد في شيءٍ، ولا من الهداية في شيء؛ بل هو إفسادٌ غير إصلاح وضلالة غير هدىٰ.

والثَّاني: يجبُ مفاصلته ومُبَاينته، والحذر منه والتّحذير منه؛ لأنّه داعيةُ الهوىٰ والضَّلال والفتنة والفُرقة.

واعلموا -أيُّها المسلمون- أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لو أراد سبيلا يجمع الكلمة ويلمّ شتات الأمة غير ما

---

(1) في نسخة: ليلة الإسراء.

جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبانه، وطريق البيان إمّا آية من كتاب الله الكريم أو سنَّة صحيحة ثابتة عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وما دام الأمرُ مقصورًا بنصِّ الكتاب الكريم وصحيح السُّنَّة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوجوب اتِّباع محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعوة النّاس إلىٰ ما يقرِّبهم إلىٰ الله في العبادة والمعاملة والسُّلوك الحسن.

فوجب إذن هجْرُ كلِّ سبيلٍ يرىٰ الناسُ أنَّها تقرِّب إلىٰ الله سوىٰ سبيلٍ واحدة؛ هي: سبيل محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال الله لنا فيه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:31]، وقال جل في علاه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب]، وقال جل ذكره: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ﴾ [الحشر:7]، والآيات في هـٰذا الباب أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تُحصر، ومن طلب ذلك وجده في كتاب الله صريحًا.

وفي صحيح السّنة من الأحاديث المتواترة تواترًا معنويًّا يوجب العلم والعمل أحاديث كثيرة، وقد قدمتُ لكم أنها متواترة، فمن تلكم الأحاديث التي تُوجب علىٰ كلِّ من نصب نفسه داعيةً إلىٰ الله علىٰ بصيرة إلىٰ لزوم هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هـٰذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[1] متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفي رواية لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[2].

فإذا تقرر هـٰذا فقد أراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ من سرد هـٰذا الموضع؛ وهو الموضع الأول من ستة مواضع من السيرة، اختارها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ للتدليل علىٰ أنه يجب علىٰ كل داعية -بل علىٰ كل مسلم- أن يفهم فهمًا صحيحا خاليا من اللَّبس ما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والخلاصة أنَّ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء مضمِّنا دعوته التي بعثه الله بها كما بعث بها النبيين والمرسلين من قبل إلىٰ إخلاص الدِّين لله.

وهـٰذا -أيها المسلمون- ينتظم شيئين هما أصل الدين وأساسه:

---

(1) **البخاري**: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا علىٰ صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم 2697. ومسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم 1718.

(2) **مسلم**: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم 1718.

أحدهما: الدَّعوة إلىٰ عبادة الله وحده، والتّحريض علىٰ ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

والثاني: الإنذار عن الشِّرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

هـٰذه دعوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي دعوة جميع النبيين والمرسلين، منهم نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، وصالح، وشعيب، وهود، وغيرهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ومما قصّ الله عَزَّوَجَلَّ علينا من خبر أولئك المصطفَيْن من النبيين والمرسلين واتفقت عليه دعوتهم قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:36]، وقوله جل ثناؤه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وفي خبر نوح وهود وشعيب وصالح وغيرهم عليهم الصلاة والسلام: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[1]، هـٰذا ما تضمّنه هـٰذا الموضع إجمالًا.

أمَّا تفصيل القول فيما تضَمَّنه هـٰذا الموضع المبارك من السيرة المباركة -سيرة سيِّد ولد آدم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلعلّنا نلخِّصُه في أمورٍ:

الأمر الأوَّل: أنّ قريشًا يسلكون أمورًا من البغي والظُّلم والعدوان؛ كالزِّنىٰ وشُرب الخمر والسرقة والقتل والسّلب والنّهب، ويَعْلَمون أنّها عدوان.

الأمر الثَّاني: أنّهم متَّفقون -علىٰ اختلاف مذاهبهم ومشاربهم- علىٰ عبادة غير الله؛ كاللَّات، والعزّىٰ، ومناة، وهبل، وإساف، ونائلة، وود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا، علىٰ ذلكم قريش ومن دان دينها من أهل الجزيرة العربيَّة.

الأمر الثَّالث: يتبادلون أمورًا فيما بينهم هي محمودة، وحمدها الشّرع، فهي محمودة في الجاهلية وأقرَّها الشرع؛ من إكرام الضّيف، وحسن الجوار، وحماية الذِّمّة، والوفاء بالعهد، والكرم، وغير ذلك؛ خصال حميدة.

الأمر الرَّابع: وهو المقصود، أنَّنا إذا نظرنا في دعوة محمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولئكم القوم كيف بدأهم أوَّلًا؟ وبما أمرهم به أوَّلًا؟

ننظر إلىٰ بداية الإرسال والبعث:

---

(1) سورة الأعراف: نوح في الآية: 59. هود في الآية:65. صالح في الآية:73. شعيب في الآية:85.

فأوّل آية نُبِّئ بها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -وهي مقدِّمة لغيرها- أوَّل سورة اقرأ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق].

ثم جاءت أوّل آيات تتضمَّن أوَّلُ إنذار، فهي أوّل المبعث؛ أعني: الأمر والنّهي فإذا نظرنا إلىٰ هـٰذه الآيات وهي فواتح سورة المدَّثِّر، وقد أشار الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ إلىٰ تلك الآيات فهي قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [المدثر]، فقد تضمَّنت من أعظم ما تضمَّنته ثلاثة:

الأوَّل: قَرْع سمْع الرّسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالإنذار ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾.

والثاني: تعظيم الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ وإجلاله.

والثالث: الصّبر علىٰ ما سيُصيبه من الأذىٰ.

وقد جاء القومَ بغير ما ألفوه واعتادوه؛ جاءهم بالدَّعوة إلىٰ عبادة الله وحده، وما أَلِفَ القومُ ذلك؛ ألفوا آلهةً متفرِّقةً، عندهم عباداتٌ؛ فقد كانوا يصومون عاشوراء، وكانوا يُعتِقُون، وكانوا يحجُّون؛ ولكن كلُّ ذلك معدودٌ في الهباء المنثور، لماذا؟ لأنَّهم لم يُخلصوا لله وحده العبادة.

فالعبادة لا تكون عبادة علىٰ الوجه المرضي عند الله عَزَّوَجَلَّ حتىٰ تكون خالصة لله عَزَّوَجَلَّ.

ولهـٰذا فإنّ جميع النّبيين والمرسلين ما عاداهم أقوامهم، وصارَموهم، وبايَنوهم، ونابَذوهم، إلَّا حين دعوا أقوامهم إلىٰ هـٰذا؛ عبادة الله وحده.

فلو كانت الدَّعوة إلىٰ عبادة الله مجرَّدة ما كان نزاع ولا خصومة ولا مصارمة ولا مفاصلة، ولَكَانت سياسة وِفاق ومهادنة؛ لأنّ الرُّسل دعوا أقوامهم إلىٰ عبادة الله وما يتنكر القوم؛ لكن قاصمة الظهر الفيْصل: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، ولهـٰذا قال قائلهم: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف:22]، أجئتنا لتأمر أن نعبد الله وحده ونترك ما كان يعبد آباؤنا.(1) وقال قوم محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص].

فما كان من دعوة النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أوَّلًا إلا هـٰذه المسألة، وهي دعوة القوم إلىٰ عبادة الله

---

(1) يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الأعراف:70].

الخالصة؛ الخالصة من الشرك ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:23]، ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:36].

وهؤلاء القوم في شركهم المبرَّر عندهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:3]، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:18]، نريد شفاعتهم، وسواء كان هذه أو تلك فقد عدَّهم الله أولياء للشَّياطين ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف:30].

إذن الشِّرك ولاية الشيطان، وليس المشرك في حزب الرحمٰن، سواء كان مُشركًا خالصًا لا يعبد الله أبدًا، أو كان يعبد اللهَ ويعبدُ غيره.

ثم بعد الإنذار من الشِّرك بموجب هذه الآية من سورة المدثِّر والتي أكّدتها آية الشُّعراء ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]، صعد النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بموجب هذه وتلك، ونادىٰ، صعد الصَّفا ونادىٰ قريشًا فخصّ وعمّ، وكان يقول: «**سلُوني لا أغني عنكم من الله شيئًا، اشتروا أنفسكم من الله**»(1).

فإذا تقرّر هٰذا فإنَّه يجب علىٰ الدُّعاة إلىٰ الله الذين يسلكون سبيل البصيرة أن تكون هٰذه دعوتهم، ويجب علىٰ المسلمين الذين ينتسبون إلىٰ الإسلام أن يفاصلوا كلَّ شركٍ سواءً كان المشرَك به -المشرَك مع الله- مَلَكًا مقرَّبًا، أو نبيًّا مرسلًا، أو عبدًا صالحًا، أو غير ذلك من المعبودات.

ثم تضمّن هٰذا الموضع أهمية الصّلاة، وأنّها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين (شهادة ألَّا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله)، وهما بوّابة الإسلام، مدخل هٰذا الدِّين، إعلان المفاصلة والانفصال عن الشِّرك والكُفر، والدُّخول في دين الله -دين الإسلام- الذي ما رضي اللهُ للعباد ولا للبلاد غيره، ما دعا، ما فُرضت علىٰ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا في السنة الثالث عشرة (13) للهجرة.

إذن ثلاث عشْرة سنة ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرِّر التوحيد ويدعو إليه ويحذِّر من الشِّرك، مهما كان سبيله ومهما كان المتعلَّق به في العبادة مع الله عَزَّوَجَلَّ، سواء كان المعبود حجرًا أو شجرا أو وليًّا أو نبيا أو ملكًا وكلُّه شركٌ.

وفي هٰذا رد علىٰ من يسمِّي من الشرك ساذج وغير ساذج، نهايته شرك؛ إحباط العمل؛ النُّقلة من

---

(1) **البخاري**: كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، حديث رقم (2753). ومسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، حديث رقم (204، 206).

الإسلام إلىٰ الكفر؛ الخلود في النار لمن مات عليه، حتىٰ وإن عبد ذبابا أو عبد ما دون ذلك، هذه نهايته. هـٰذه نهايته.

وفي الحديث الصَّحيح «**دخل النارَ رجلٌ بذباب، ودخل الجنةَ رجلٌ بذباب**»، ثم بين النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «**كان لقوم صنم لا يجوزه أحد حتىٰ يقرِّب له قربانا، فمر به رجلان فقيل لأحدهما: قرِّب. قال: ما عندي شيء أقرب. قالوا: قرّب ولو ذبابًا. قال: ما كنت لأقرب لغير الله فضربوا عنقه فدخل الجنة. وقيل للآخر: قرِّب. قال: ما عندي شيء، فأعطوه ذبابا فقرّبه فخلُّوا سبيله، فمات فدخل النار**».[1]

الأول دخل الجنة لأنه مات علىٰ عقيدة التوحيد، ما لان وما عان وما استكان، مع أنّه لو ترخّص وأجابهم إلىٰ طُلبتهم وقلبه مطمئن بالإيمان ما ضرّه ذلك؛ لكن آثر أن يموت في سبيل العقيدة -عقيدة التّوحيد- التي عَبَدَ الله بها، وخلع عبادة غيره.

وأما الآخر فهان عليه دينه وهان عليه التّوحيد في سبيل إرضاء أعداء الله عَزَّوَجَلَّ.

فالأعمال بالخواتيم.

نعم أقول: لا شك أنَّ العداوة والمفاصلة حصلت بين قريش وبين النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قبل فرض الصلاة، حصلت حين قال لهم: قولوا: لا إلـٰه إلا الله. فبما أنهم يعلمون معناها وما يجب عليهم عملُه بمقتضاها أَبَوْا أن يقولوها؛ بل مات أبو طالب وهو مستنكف عن ذلك، أبو طالب عبد العزّىٰ بن عبد المطلب أتاه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعوده يطمع في إسلامه وقد كان يناصره وينافح عنه؛ لكنه لم يسلم، فكان يقول: «**يا عم قل: لا إلـٰه إلا الله. كلمة أُحاجُّ لك بها عند الله**»[2]، وكان عنده رجلان من بني مخزوم أحدهما عبد الله بن أبي أميّة وقد أسلم وحسن إسلامه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والآخر أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي قتل يوم بدر، فكان يقولان: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ هـٰذا إعلان عداوة، أترغب عن ملة عبد المطلب، فكلما أعاد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ أبي طالب الدعوة إلىٰ شهادة أن لا إلـٰه إلا الله إلىٰ كلمة الإخلاص يعيدان مقالة السوء.

---

(1) رواه أحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية، صح مرفوعا علىٰ سلمان الفارسي.

(2) **البخاري**: كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إلـٰه إلا الله، حديث رقم 1360. **ومسلم**: كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع، حديث رقم 24.

فآخر كلمة قالها أبو طالب: هو علىٰ ملة عبد المطلب.

ومن عداوتهم للرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنهم حاصروه وقرابَتَه بني هاشم في الشِّعب ثلاث سنوات، وعلَّقوا صحيفة تَوَافق القوم عليها منعوا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومن كان معه كلَّ شيء حتىٰ أكلوا ورق الشَّجر، محصورين في الشِّعب يسمَّىٰ شعب أبي طالب.

فعداوة المشركين للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ظهرت قبل فرْض الصَّلاة.

سؤال: شيخ -أحسن الله إليكم- مسألة ليلة المعراج هل كانت سنة عشر؟ أو هل هناك سنة ثبتت بالتحديد فيها؟

الجواب: حتىٰ الساعة لا أعلم حديثا صحيحا يحدّد السنة؛ لكن هم يقولون: قبل الهجرة، المتفق عليه بين المحققين أنها قبل الهجرة.

فبعضهم قال: قبل سنتين.

وبعضهم قال: قبل ثلاث سنوات.

لكن هم متَّفقون علىٰ أنها قبل الهجرة، كما أنه لم يثبت في أي شهر وفي أي ليلة.

(الموضع الثاني) أنّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما قام يُنذرهم عن الشِّرك ويأمرهم بضده وهو التوحيد لم يكرهوا ذلك واستحسنوه، وحدثوا أنفسهم بالدُّخول فيه، إلىٰ أن صرّح لهم بسبِّ دينهم وتجهيل علمائهم، فحينئذٍ شمَّروا له ولأصحابه عن ساق العداوة، وقالوا: سفّه أحلامنا وأعاب ديننا وشتم آلهتنا.

ومعلوم أنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يشتم عيسىٰ ولا أمّه ولا الملائكة ولا الصَّالحين؛ لكن لما ذكر لهم أنهم لا يُدعون ولا ينفعون ولا يضرُّون جعلوا ذلك شَتْمًا.

فإذا عرفت هذه المسألة عرفت أن الإنسان لا يستقيم له دين ولا إسلام -ولو وحّد الله وترك الشرك- إلا بعداوة المشركين والتّصريح لهم بالعداوة والبغضاء، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ [المجادلة:22] الآية. فإذا فهمت هـٰذه فهما حسنا جيدا عرفت أنَّ كثيرًا من الذين يدعون الدين لا يعرفونها، وإلا فما الذي حمل المسلمين علىٰ الصّبر علىٰ ذلك العذاب والأسر والضَّرب والهجرة إلىٰ الحبشة، مع أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أرحم الناس

ولم يجد لهم رخصة ولو وجد لهم رخصة لأرخص لهم. كيف وقد أنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت:10]، فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه إذا أوذوا في الله، إذن فكيف بغير ذلك.

الحمد لله، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه.

وفي هـٰذا الموضع يقرّر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة أمور:

الأمر الأول: أنه لما أنذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قريشا من الشرك وحذّرهم منه ومِن عاقبته مع تقريره التّوحيد الذي يجب اعتقاده، وهو أنّ الله هو المعبود وحده مالوا إليه، ولانوا معه.

ولم تكن منهم العَدَاوة والمصارمة والبغضاء حتىٰ أعلن صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سفاهة أحلامهم وسبَّ دينَهم وآلهتهم، فحينئذ ناصبوه العِداء.

وهكذا كلّ صاحب باطل إذا شُنِّعَ علىٰ باطله وبُيِّنَ زَيْفه ووجه بطلانه وأنَّ الحق خلافه أصبح ينصب المكائد، ويكيل الصاع صاعين، ويكشِّر بلا هوادة عن العداوة، وأظهر البغضاء وجدَّ في ذلك.

الأمر الثاني: أنّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما شتم عيسىٰ وأمه -عَلَيْهِما الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ-وما شتم الملائكة، وما شتم الصالحين من عباد الله مثل العُزَير.

ولكن لما أبان أن عبادتهم من أبطل الباطل وأنهم لا يجوز أن يُدعوا، إذْ هم لا ينفعون ولا يضرون عدَّ المشركون ذلك من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبًّا وشتما.

وهكذا حينما ينبري أهل العلم والأئمة من أهل السّنّة والجماعة للردّ العلمي علىٰ ما ينسجه أهل الأهواء بزخرف القول وحديث العبارات إظهارًا للبِدْعة في قالَب السّنّة، والضلالة في قالب الهدىٰ، والباطل في قالب الحق، ويبيِّن أهل السنة ذلك، وأنّه من نشر الضلالات وترويج المحدثات في دين الله، يَصيح أهل الأهواء ويصرخون عَادِّين ذلك سبًّا لهم وشتمًا، وقد كذبوا وقالوا الزُّور والبهتان علىٰ أهل السّنّة وحزب الرّحمـٰن.

فإنّ أهل السنة ليس من سجيَّتهم الطعن ولا اللّعن ولا بذيء القول وفاحشه؛ لأن نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس باللّعّان ولا بالطعّان ولا الفاحش البذيء؛ لكن كما يقول القائل: رمتني بدائها وانسلَّت.

فسَلَفُ أهل الهواء في الضّجيج والصريخ وادِّعاء أن أئمة السّنّة وعلماء السّنّة حين يردّون باطلهم بالدليل ردًّا علميًّا يَبين به ما كان زيفًا وباطلًا من القول يجب هجْرُه ومفاصلته والبعد منه، كما يبيِّنون

الحقَّ الذي لا لَبس به.

ومستندُهم في ذلك القرآن والسنة وآثار السّلف الصّالح.

حينما ينبري أعداء السّنّة ناصبين المكائد والحيل ومدَّعين الزّور والبهتان سلفهم في ذلك المُشركون.

الأمر الثَّالث: وجوبُ الصّبر علىٰ ما يلقاه دعاة الحقّ في سبيل نشر التّوحيد والسُّنّة تأسّيا برسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه، فقد لقي رسولُ الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من صنوف الأذىٰ ما الله به عليم، لقي من السّبّ والشّتم والحصار ومعه المسلمون سنين عددًا حتىٰ أكلوا ورق الشّجر، وعُذِّب من عُذِّب من المُسلمين بالضّرب والسَّحب في الرَّمضاء في شدّة الحر، وأُلقيت عليهم الحجارة الكبيرة، ما ثناهُم ذلك عن دين الله عَزَّوَجَلَّ.

وكان نبيُّهم صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يصبِّرهم ويسلِّيهم بما يوحيه الله إليه، ويَعِدُهم بما يُوحيه الله إليه أن الله عَزَّوَجَلَّ سيظهر دينه ويُعلي كلمته.

فقد صح عنه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه حين شكا إليه بعض أصحابه شدة ما يلقونه من عنت الكفار وأذيتهم والتّضييق عليهم من قبل الكفّار قال صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كان الرجل فيمن كان قبلكم يؤتىٰ به ويوضع المنشار علىٰ مَفْرِقِ رأسه ويُشقُّ نصفين ويُمشط بالمشط من حديد لحمه عن عظمه، وما يفنيه ذلك عن دين الله**»[1] فكان في مثل هـٰذا العزاء ومثل هـٰذه التّسلية، ومثل هـٰذا الوعد من رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلَّا وحي يوحىٰ، أبلغ الأثر قلوب في أصحاب النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتىٰ ثبتوا علىٰ دين الله، وازدادوا قوّة علىٰ قوّتهم، وعزيمة علىٰ عزيمتهم؛ لأنّهم علموا أنّ العاقبة للمتقين.

الأمر الرابع: الشّناعة العظيمة والنَّكير الشديد علىٰ بعض المسلمين الذين ربّما أظهروا لينًا مع الكفار بألسنتهم، فقال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ﴾ [العنكبوت:10]، شنّع الله عليهم.

فيجب علىٰ المسلم ألا يلين في دين الله، وأن يصدع بعقيدة التّوحيد، وأن يُنكر الشِّرك، وأن يصارم المشركين العداوة.

فلا ينفع المرء أن يكون موحِّدًا لله ولا ينفعه أن يُبغض الشِّرك بالله؛ بل لابد أن ينضمّ إلىٰ ذلك عداوة

---

(1) **البخاري:** كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه من المشركين بمكة، حديث رقم 3852.

المشركين.

وفي الحديث الصحيح «**من قال: لا إلـٰه إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حَرُم دمه وماله وحسابه علىٰ الله**»(1).

فانظروا -أيها المسلمون- علىٰ أي شيء علَّق نبيِّنا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حُرمة الدّم والمال؟

هل علىٰ قول: لا إلـٰه إلا الله؟

هل علىٰ قولها والعلم بمعناها فقط؟

هل علىٰ قولها وفهم معناها والعمل بمقتضاها فقط؟

بل لابدّ أن ينضمّ إلىٰ هـٰذه الأمور الثلاثة أمر رابع، ما هو؟ الكفر بما يُعبد من دون الله.

بل وثمة أمر خامس وهو بُغض الكفار.

يوضح ذلكم قول جَلَّوَعَلَا: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أكمل الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ وماذا بعد ذلك؟ ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

إذن نقول: لا ينال أحدٌ حقيقتها إلا بخمسة أمور:

أولا: قولها؛ النطق بها صراحة.

ثانيا: فهم معناها.

ثالثا: العمل بمقتضاها.

رابعا: الكفر بما يعبد من دون الله، يبغضه، يكفر به، لو اعتقد أنه حق ما انتفع.

خامسا: بغض المشركين.

وبهـٰذا تعلمون أنّ القرضاوي ومن علىٰ شاكلته حين يحكم علىٰ أهل الكتاب بأنهم مؤمنون مثلنا قد جانب الصّواب والهدىٰ، وفي الضّلالة تردّىٰ، فيجب علىٰ من قال هـٰذه المقولة أن يتوب إلىٰ الله، وإلا لم ينل حقيقة لا إلـٰه إلا الله، لم يكن من أهلها حقيقة.

---

(1) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إلـٰه إلا الله.. حديث رقم 23.

(الموضع الثالث) قصة قراءته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سورة النجم بحضرتهم، فلما بلغ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم]، ألقىٰ الشيطان في تلاوته: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجىٰ. فظنوا أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالها؛ ففرحوا بذلك فرحا شديدا وقالوا كلاما معناه: هـٰذا الذي نريد ونحن نعرف أن الله سبحانه هو النافع الضار وحده لا شريك له، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده. فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه.

فشاع الخبر أنهم صافوه، وسمع بذلك من في الحبشة فرجعوا، فلما أنكر ذلك رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عادوا أشر ما كانوا عليه ولما قالوا له: إنك قلت ذلك. خاف من الله خوفا شديدا عظيما حتىٰ أنزل الله عليه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الحج:52].[1]

فمن فهم هـٰذه القصة ثُم شك في دين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولم يفرّق بينه وبين دين المشركين فأبعده

---

(1) سئل الشيخ صالح آل الشيخ في شريط ضوابط لمعرفة السيرة:

السؤال/ يقول: قصة (الغرانيق) التي وردت في «مختصر السيرة» ما صحتها؟

الجواب: قصة الغرانيق رُويت من أوجه مرسلة، قال الحافظ ابن حجر: يقوي بعضها بعضا. والمرسل يعتضد بالمرسل، سيما في مثل ذلك، وقصة الغرانيق لا تناقض أو تضاد أصلا شرعيا ولا نصا من كتاب الله جَلَّوَعَلَا ولا من سنته عليه الصلاة والسلام، فهي من القسم الثالث ولهذا أوردها العلماء، بل إنّ قصة الغرانيق يمكن أنْ تكون في معنىٰ قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[الحج:52] الآية في سورة الحج، فبيّن جَلَّوَعَلَا أنه ما أرسل من نبي ولا رسول إلاّ إذا تمنىٰ يعني إذا قرأ وتلا كتابه ﴿ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ يعني تكلم الشيطان بجنس صوته ليعتقد زيادة في كلامه من جهة الشيطان. وهذا ما جاء في قصة الغرانيق المعروفة في قوله جَلَّوَعَلَا في سورة النجم لما تلا النبي ﷺ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾[النجم:19-20]، جاء في القصة أنه قال (وإنّهنّ الغرانيق العلىٰ وإنّ شفاعتهنّ لترتجىٰ) وأشباه ذلك أو كما جاء، فجاءت زيادة فيها تصحيح عبادة غير الله جَلَّوَعَلَا، فلما سمع المشركون ذلك سجدوا، فأنزل الله جَلَّوَعَلَا قوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾.

فإذن هذه القصة تداولها المحققون من أهل العلم فذكرها الحافظ ابن حجر، وذكر لها أوجهًا مرسلة في شرح البخاري، وذكرها إمام هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «مختصر السيرة» وذكرها العلماء ولم ينكروها وإنما أنكرها بعض أهل العلم وإنكاره له وجهه، ولكن ليس بقاضٍ علىٰ ما رآه غيره من أهل العلم، إذْ ليس في القصة ما ينكر من جهة التوحيد ولهذا أوردها أئمة التوحيد.

تركها أولىٰ خاصة عند من لا يفقه، وإذا أوردت فلها وجهها.

الله خصوصا إن عرف أن قولهم (تلك الغرانيق العلىٰ) أنها الملائكة.

وأقول في هـٰذا الموضع يقرر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمورا عدة:

الأمر الأول: الإشارة إلىٰ قصَّة الغرانيق إشارةً يُفهم منها أنّ تلك القصَّة صحيحة.

وبيانًا لحقيقة هـٰذه القصة فسوف أبيِّن ما يأتي:

أولا: القصة اختصرها المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ اختصارا، ولا نحب أن نزيد علىٰ ذلك؛ لأنّ ذكر القصة كاملة يطيل علينا الحديث، ونحن لا نرغب في ذلك؛ لأنه يُخرج هـٰذه القراءة عن غرضها.

ولكن نعقِّب علىٰ هـٰذه القصة فنقول:

القصة جاء فيها روايتان:

إحداهما: تلك الغرانيق العلىٰ وإن شفاعتهن ترتضىٰ.

والرواية الثانية: تلك الغرانيق العلىٰ وإن شفاعتهن لترتجىٰ.

وهـٰذه القصة تصدّىٰ لها المحقِّقون مثل: ابن كثير، وأبي بكر ابن العربي المالكي، والشوكاني، والألباني -رحم الله الجميع- فأبانوا بطلانها بالدليل.

والخلاصة: أنها منتقدة سندا ومتنا.

ومدارها عن محمد بن كعب القرضي، هـٰذا كما عند ابن جرير، وهي مروية عن محمد بن كعب القرضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من طريقين:

أحدهما: فيه أبو معشر المدني وهو ضعيف.

والآخر: فيه تدليس ابن إسحاق، وكذلك سلمة بن الفضل، وهو صدوق يخطئ.

ومما قاله ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنها لم تروَ من وجه متصل صحيح.

فهي لم تصح لا سندا ولا متنا.

الأمر الثاني: الذي نعقب به علىٰ هذه القصة، خلاصة ما ذكره أهل العلم ودللوا عليه من الكتاب والسنة أن القرآن مصون ومحفوظ من أن يزاد في أو ينقص منه لأنه كلام الله الذي قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾[الشعراء]، وهو كلام الله، وإنما ألقىٰ الشيطان في مسامع المشركين فظنوا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك وحاشاه لم يقله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلما ظنوا أنّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ما ألقاه الشيطان في أسماعهم، مالوا إلىٰ رسول الله

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصافوا إليه وأصغوا وأشيع، وسجدوا معه كما سجد المسلمون، ظنوا أنّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر آلهتهم بخير، وليس الأمر كذلك.

وفي هـٰذا عبرة وهو أنّه أحيانا يقع إرجاف في وسط المسلمين من بعض أعدائهم؛ إرجاف بالحق وأهله، وإشاعة أكاذيب يُفهم منها أنَّ أهل الباطل رجعوا عن باطلهم، ووراء هـٰذا ما وراءه من الإرجاف وإلقاء الفتنة في صفوف المسلمين.

ولكن جرت سنة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه يفرح الكذاب ويرد كيدهم في نحورهم صيانة لدينه وذبًّا عن أهله وحزبه الذين هم أهل الدِّين الخالص، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ ما يثبت به فؤاد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدحض به كيد المفترين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ يعني تلا ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:52]؛ يعني ألقىٰ الشيطان في مسامع أعدائه شيئا ليس مما أُنزل عليه، فهمتم ذلك بارك الله فيكم؟ يعني أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ إذا تلا نبي ما من نبي يتلو تلاوة في مَجْمع عام يستمعها أولياؤه وأعداؤه، يستمعها أهل الله وخاصَّتُه وأولياؤه، كما يستمع إليها أعداؤه من الكفار والمشركين إلَّا يُلقي الشيطان تلبيسا وتدليسا في أسماع المُشركين ما يظنُّون أنه مما أنزل علىٰ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنبيُّ والقرآن بريئان من ذلك ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ ما معنىٰ تمنىٰ؟ تلا، ألقىٰ الشيطان في أمنيته؛ يعني: في تلاوته يعني ليس في المتلو، لا، وإنَّما هو في مسامع من؟ القوم الكفار، قال تعالىٰ: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج:52] هـٰذا ينسخه؛ يصبح كذبًا لا حقيقة له، وليس هو في تلاوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي جاء بها الملك عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، أبدا، ﴿يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يصفيها تصفية فيصبح الوحي مصونًا من الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ جبريل إلىٰ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أسماع أهل الإيمان، أمَّا ما ألقاه الشيطان فيبقىٰ في أسماع الكفار حتىٰ يكذبهم الله عَزَّوَجَلَّ.

الأمر الثاني: الذي أفاده هـٰذا الموضع أو قرره الشيخ في هـٰذا الموضع أنّ المشركين والكفار عامة، وأقول: وكذلك أهل الأهواء من بعدهم؛ إذا وجدوا في التديُّن شيئًا من اللين أقبلوا، وإذا وجدوا فيه قوة وصرامة أدبروا وألصقوا ذلك بأهل الإيمان؛ ولكن الله عَزَّوَجَلَّ يُتِمُّ نوره ويظهر دينه ويعلي كلمته.

والمقصود أنّه علىٰ المسلمين أن يتفطَّنوا لأعدائهم من الكفّار والمشركين وممَّن ينتسب حتىٰ إلىٰ الإسلام، فإنَّ كثيرًا ممن ينتسب إلىٰ الإسلام يتربّص بأهل السّنّة الدوائر، فإذا وجد ثغرةً انسلَّ منها ونفث

في أهل السّنّة العداوة والبغضاء وألقىٰ في صفوفهم الفتن.

ولا يزول ذلك إلا بالعَوْدِ إلىٰ السنة الصّحيحة القويّة، فيجب علىٰ المسلم أن يكون قويًّا في عقيدته، وأن يقول بها أينما كان لا يخشىٰ في الله لومة لائم.

(ففرحوا بذلك وقالوا كلاما معناه: هـٰذا الذي نريد ونحن نعرف أن الله هو النافع الضار وحده لا شريك له، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده. فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه.)

أقول: هـٰذا تنبيهٌ من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أنَّ المشركين حتىٰ في ميلهم إلىٰ رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولينهم وإصغائهم إليه لم يكن عن تديُّن خالص، لم يكن إقرارا منهم بالألوهية التي جاء بها النبيّون والمرسلون من لَدُن نوح أوّلهم إلىٰ محمّد خاتمهم صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ علىٰ الجميع.

وإنّما هو إقرارٌ بالرّبوبية، ولهـٰذا قالوا: نحن نعلم أنّ الله يخلق ويرزق إلىٰ آخره، وأيضا خلطوا مع الربوبية عبادة المشركين، الرّبوبية وحدها لم تكن نافعة، الإقرار بالرّبوبية وحدها لم يكن مجديًا ولم يكن نافعا.

ولكن القوم مع إقرارهم بالربوبية أيضًا جعلوا آلهتهم وسائط، قالوا: هي تشفع لنا، شفاعتهم فينا عند الله مقبولة، كما قصَّ الله عَزَّوَجَلَّ عنهم ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:18].

وبهـٰذا يستبين لكم أنّ تفسير (لا إلـٰه إلا الله) بأنّ الله هو الخالق الرازق النافع الضار تفسيرٌ من أبطل الباطل، تفسير بالربوبية الذي أقر به المشركون في زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يدخلهم في الإسلام؛ بل استباح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دماءهم وأموالهم وسبىٰ ذراريهم لماذا؟ لأنهم أنكروا الألوهية.

(الموضع الرابع) قصة أبي طالب فمن فهمها فهمًا حسنا، وتأمل إقراره بالتوحيد وحث الناس عليه وتسفيهه عقول المشركين ومحبّته لمن أسلم وخلع الشرك، ثم بذْل عمره وماله [وأولاده][1] وعشيرته في نصرة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أن مات، ثم صبْره علىٰ المشاقّ العظيمة والعداوة البالغة؛ لكن لأنه لم

---

(1) في نسخة أخرىٰ.

يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الأول لم يصر مسلما، مع أنه يعتذر عن ذلك أن فيه مسبة أبيه عبد المطلب وآل هاشم وغيرهما من مشايخه، ثم مع قرابته ونصرته استغفر له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنزل الله تعالىٰ عليه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ [مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾](1)﴾[التوبة].

والذي يبين هـٰذا أنه إذا عُرف رجل من أهل البصرة أو الأحساء بحب الدِّين وبحب المسلمين، ظن أكثر الناس أنه من المسلمين مع أنه لم ينصر الإسلام بيده ولا ماله ولا له من الأعذار [مثل](2) ما لأبي طالب، فمن فهم قصة أبي طالب وفهم الواقع من أكثر من يدّعي الدِّين تبيّن له الهدىٰ من الضلال وعرف سوء الأفهام، والله المستعان.

في هـٰذا الموضع يقرِّر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ شيئين:

أحدهما: قصة أبي طالب مختصرة، وكيف كانت مواقفه المناصرة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصبره علىٰ أذىٰ قومه من قريش لقاء ما ذبّ به عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وناصره.

ويذكر الشيخ أنه مع ذلك سفّه أحلام المُشركين وعاب عليهم؛ لكنه لم يمُت علىٰ الإسلام، لماذا؟ لأنه لم يُسلم، لم يدخل في دين الله الذي جاء به ابن أخيه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بل رغِب في أن يموت علىٰ ملّة عبدِ المطَّلب، هـٰذا عُذْره، وهـٰذا يسميه أهل العلم كفر الإباء والاستكبار مع التَّصديق.

هو مصدِّقٌ بالرسالة؛ لكن لم يسلم، لم يقبلها، لم يدخل فيها ولأبي أبي طالب أشعار تدل علىٰ ذلك.

ويوضّح كفر أبي طالب وأنه مات علىٰ دين آبائه وأجداده عبادة الأصنام: حديث سعيد بن المسيب عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة أتاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: «**يا عم! قل: لا إلـٰه إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**»(3) وفي رواية «**قل كلمة الإخلاص أخاصم لك بها عند الله**».(4)

وكان عنده رجلان من بني مخزوم وهما عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل عمرو بن هشام.

---

(1) نسخة أخرىٰ.

(2) نسخة أخرىٰ.

(3) تم تخريجه صفحة (42)

(4) لم أجده بهذا اللفظ في مظانه.

فالأول أسلم وحسن إسلامه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والآخر مات علىٰ الكفر؛ قتل يوم بدر.

فكان كلما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك لعمه قالا له: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب، فكلما أعاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له قول الحق أعادوا له قول السوء، حتىٰ آخر كلمة قالها أبو طالب: هو علىٰ ملة عبد المطلب. وأبىٰ أن يقول: لا إلـٰه إلا الله.

فمن تأمّل هـٰذا عرف أنه لا خلاص من الكفر لمجرد محبّة الإسلام ومحبة أهله ومناصرة أهل الإسلام، كلّ ذلك لا ينفعه، لا ينفعه إلاّ الدخول في الإسلام قولا وعملا واعتقادًا وبراءة من الكفر وأهله.

الشيء الثاني: إشارة إلىٰ قصّة أو إلىٰ أمر واقع ذكره الشّيخ عن بعض النّاس في بعض أهل الأحساء وأهل البصرة الذين عُرف منهم محبّة المسلمين ومحبة الإسلام؛ لكن لم يعرف منهم الصِّدْق في الإسلام، لم تُعرف منهم قدم صدق، وإنما هي مجرّد محبة وتقديس وتوقير، فذلك لم ينفعهم.

فبان بهـٰذا أنّ الإسلام يجب أن يكون باللسان وبالاعتقاد وبالجوارح؛ لأنّ الإيمان ليس بالتمنِّي ولا بالتحلي؛ بل هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل.

وعلىٰ هـٰذا فإنه يُخشىٰ علىٰ بعض من يدَّعي الإسلام ويتصدَّر الدعوة أنْ يكتفي بمجرد الدخول في الإسلام هكذا، بلا غيرة علىٰ دين الله، فإن (لا إلـٰه إلا الله) لم ترد مطلقة؛ بل مقيّدة بقيود عظيمة.

قيل لوهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أليست لا إلـٰه إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلىٰ؛ ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك وإلا لم يفتح لك.

وقيل للحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أليس من قال: لا إلـٰه إلا الله دخل الجنة؟ قال: من قال: لا إلـٰه إلا الله وأدىٰ فرضها وحقها دخل الجنة.

ويدلّ علىٰ وجوب مصارمة الكفار ومعاداتهم وبُغضهم في ذات الله ولو تعامل المسلم معهم معاملة دنيوية القصة؛ قصة وعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا طالب بالاستغفار، وعده أن يستغفر له قال: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**» فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ

لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾[التوبة]، فكفّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الاستغفار له.[1]

قال طائفة من أهل العلم: أنه استغفر له ثم نُهي.

وقال بعضهم: لا، لم يستغفر له؛ ولكن عزم علىٰ الاستغفار له فأنزل الله ذلك النهي.

(الموضع الخامس) قصة الهجرة، وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها؛ ولكن مرادنا الآن مسألة واحدة من مسائلها وهي: أن من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من لم يهاجر - من غير شك في الدّين [وتزيين دين المشركين][2] ولكن محبة للأهل والمال والوطن، فلما خرجوا إلىٰ بدر خرجوا معهم -أي مع المشركين وهم كارهون وقتل بعضهم بالرمي، والرامي لا يعرفهم، فلما سمع الصحابة أن من القتلىٰ قتل فلان وفلان شقّ عليهم وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[النساء].

فمن تأمل قصتهم وتأمل قول الصحابة: (قتلنا إخواننا) علم أنهم لو بلغهم عنهم كلامٌ في سبِّ الدين أو كلام في تزيين دين المشركين لم يقولوا: قتلنا إخواننا، فإنّ الله بيّن لهم وهم بمكة قبل الهجرة أن ذلك كفر بعد الإيمان لقوله تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:106].

وأبلغُ من هـٰذا ما تقدّم من كلام الله تعالىٰ فيهم؛ فإن الملائكة تقول لهم: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ **ولم يقولوا لهم: كيف تصديقكم؟ فلما قالوا:** ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ **لم يقولوا: كذبتم. مثلما يقول الله والملائكة للمجاهد الذي يقول: جاهدت في سبيلك حتىٰ قُتلت. فيقول الله: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت؛ بل قاتلت ليقال جريء، وكذلك يقال للعالم والمتصدق: كذبت؛ بل تعلمت ليقال: عالم،**

---

(1) تم تخريجه.

(2) نسخة أخرىٰ.

وتصدقت ليقال: جواد.

وأما هؤلاء فلم يكذبوهم بل أجابوهم بقولهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ **ويزيد ذلك إيضاحا للجاهل والعارف الآية التي بعدها وهي قوله تعالىٰ:** ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾، **فهٰذا واضح جدًّا أن هٰؤلاء الذين خرجوا من الوعيد فلم يبق شبهة؛ لكن لمن طلب العلم بخلاف من لم يطلبه؛ بل قال الله فيمن هٰذه صفته** ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة]، **فمن فهم هٰذا الموضع والموضع الذي قبله فهم كلام الحسن البصري [قال]: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال. وذلك أن الله تعالىٰ يقول:** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:10].

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه، ومن والاه.

أما بعد؛ فحاصل ما تضمّنه هٰذا الموضع:

أولا: وجوب أخذ العبرة من حال أقوام من المسلمين، كان يجب عليهم أن يهاجروا مع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين هاجر من مكة إلىٰ المدينة؛ وذلك لأنّ مكة لم تكن دار إسلام حينئذ؛ بل كانت دار كفر، ودار الإسلام هي التي هاجر إليها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وذلك بأمر الله، بعد أن أمضىٰ بمكّة سنين عددًا يدعو الناس إلىٰ عبادة الله وحده، فلما بلغ من المشركين ما بلغ من تكذيبهم وإيذائهم لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والمؤمنين وصدّهم عن سبيل الله، أذن الله لنبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالهجرة إلىٰ المدينة.

فكان الواجب علىٰ كل مسلم رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نبيا أن يهاجر معه، فِرارًا بدينه، وإن كان له بمكة ما يكون من المال والأهل.

أقول: والّذي حصل أنّ هؤلاء المتخلِّفين عن النّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما تخلّفوا كُرْها للدِّين، وإنما آثروا البقاء بمكة محبةً في المال والأهل، فخرجوا يوم بدر مع المشركون وهم كارِهُون، فقُتل منهم أناس فيمن قُتل من المشركين، فبلغ خبرُهم أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقالوا: قتلنا إخواننا.

أثبتوا لهم الأخوّة في الدِّين؛ لأنّهم لم يظهر منهم سبٌّ لله ولا لدينه ولا لرسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ من سورة النِّساء آيات يشنِّع عليهم عملَهم فيها و[يسجِّل] عليهم ظلم أنفسهم؛ لأنه

كان في مقدورهم أن يهاجروا كما هاجر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنون معه؛ لكن آثروا المال والأهل علىٰ ما يحبّه الله ورسوله من أمر الهجْرة.

ومن الآيات التي أنزلها الله فيهم مبيِّنا ظلمهم أنفسهم وتوعَّدهم فيها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ فكانت الهجرة بهـٰذا واجبة علىٰ كل مسلمٍ وجد في دار الكُفر ما يؤذيه في دينه وعِرْضه، فيجب عليه اللَّحاق بأهل الإيمان حتىٰ يأْمن علىٰ دينه وعرضه.

وأصبح النّاسُ حين ذاك ثلاثة أقسام:

قسم: آثروا محبة الله ومحبة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهاجروا من مكة إلىٰ المدينة مخلِّفين مَن وراءهم من الأهل كالآباء والأمهات والأبناء؛ وذلك فِرارا بدينهم وهؤلاء هم الخُلَّص النّاجون من الوعيد.

القسم الثاني: قسم أرادوا الخروج واللحاق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولكن حيل بينهم وبين ذلك؛ ولا طاقة لهم ولو خرجوا لم يهتدوا السبيل، فأولئكم المستضعفون وهم معذورون، عذرهم الله عَزَّوَجَلَّ فقال: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾.

القسم الثالث: من أخلدوا إلىٰ الأرض وركنوا إلىٰ الْمُقام في مكة، وآثروا ذلك علىٰ محبة الله ومحبة رسوله، أو آثروا ذلك علىٰ ما يحبه الله ورسوله من الهجرة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأولئكم القوم وقعوا في الشناعة والوعيد، وسماهم الله: ظالمي أنفسهم وتوعّدهم بأشد الوعيد، فقال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾.

والناظر في هذه القصة يجد أنه يجب عليه إيثار ما يحبه الله ورسوله علىٰ ما يحبه الخلق، ولو كانوا في الأقربين، ويظهر له جليًّا أنّه يجب عليه أن يفاصل المشركين ويصارمهم، ومن هـٰذه المفاصلة والمصارمة أن يباين ديارهم، ولا يقيم معهم ما دام أنه في أرض لم يطب له المقام فيها، هو منغَّص عليه في دينه وفي عرضه يجب عليه أن يفرّ بدينه.

فبان بهـٰذا أن الهجرة فريضة مُحْكَمة، من السنن المحكمة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَنْقَطِعُ الهجرَةُ حتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوبةُ ولا تنقطعُ التّوبةُ حتّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[1] صحيح بمجموع طرقه.

---

(1) **أبو داود**: كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت، حديث رقم 2479، قال الألباني: صحيح.

والقول الآن في أقوام من المسلمين يعيشون بين ظهراني المشركين في أمريكا وأوروبا وغيرها، يعيشون بين الكفار، فهؤلاء لا يخلون عن حالين:

[الحال الأولىٰ:] إما أن يَأْمنوا علىٰ دينهم وأعراضهم وأن تكون لهم الحرية، فالهجرة في حقهم مندوبة وليست بواجبة.

[الحال الثانية:] أن يضيَّق عليهم في دينهم وأن يُفتنوا في دينهم وأعراضهم ولا تكون لهم الحرّيّة في إقامة شعائر الإسلام، فهؤلاء وجبت عليهم الهجرة ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلا. والله الموفّق.

المؤلف يريد أن يقرّر بأن القوم قادرون علىٰ الهجرة؛ لكنهم آثروا عدم ذلك فكانوا ظالمي أنفسهم، لأن الهجرة في ذلك الوقت مخاطب بها كل مسلم، كل مسلم يحرم عليه المقام في مكة؛ لأنه لا دولة للإسلام، وليست لهم الحرية، لا يستطيعون إقامة شعائر الله، فكان واجبا عليهم أن يلحقوا برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هـٰذا الحكم الآن يطّرد في حق المسلمين المعاصرين لليوم الذين يعيشون بيْن الكفار فقد قدمنا حكمهم فيما يظهر لنا. والله الموفق.

هؤلاء مسلمون لا شك؛ نقول: مسلمون لكن أقصد إن أوذوا في دينهم ولم يتمكّنوا من إقامة شعائر الله كانوا تحت الوعيد إذا لم يهاجروا إلا من حيل بينه وبين الهجرة؛ يعني النظر في الحال.

سؤال: ما مراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر الكلام كلام الحسن البصري ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني؛ ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال؟

الجواب: لا شك أن الإيمان ليس مجرد أماني، الإيمان شرائع؛ ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني؛ ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، لابد أن يُتبع المؤمن صحيح اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره أن يتبع ذلك بالعمل الصالح الذي يرضاه الله عَزَّوَجَلَّ، ومن العمل الصالح الذي يرضاه الله هجرة المسلم من دار الكفر إلىٰ دار الإسلام؛ لكن قدمنا التفصيل في ذلك.

ولا شك أن مهاجرة إخواننا في أوربا وفي أمريكا وفي مجاهل أفريقيا وآسيا هجرتهم إلىٰ بلاد الإسلام لا شك أن هـٰذا خير لهم وأسلم؛ لكن ما داموا لا يقدرون علىٰ ذلك ويؤدون شعائر الله كما في بلاد الإسلام؛ لم يضيّق عليهم، فإنه لا بأس إن شاء الله.

النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أمر جماعة من أصحابه بالهجرة إلىٰ الحبشة وهي دار كفر؛ لكن لا يظلم أحد في كنف مَلِكِها النّجاشي الذي أسلم بعد وحسن إسلامه رَحِمَهُٱللَّهُ.

(الموضع السادس) قصّة الرِّدة بعد موت النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فمن سمعها لم يبق في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يُسمون العلماء.

وهي قولهم هـٰذا هو الشرك؛ لكن يقولون: لا إلـٰه إلا الله ومن قالها لا يكفر بشيء.

وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شعرة؛ لكن يقولـون: لا إلـٰه إلا الله، وهم بهذه الشهادة أهل إسلام، حرّم الإسلام مالهم ودمهم مع إقرارهم أنهم تركوا الإسلام كله، ومـع علمهم بإنكارهم البعث واستهزائهم بمن أقرَّ به واستهزائهم بالشرائع، وتفضيلهم دين آبـاءهم المخـالف لدين النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ومع هـٰذا كلِّه يصرّح هؤلاء الشياطين المردة الجهلة أنَّ البدو أهل إسلام ولـو جرىٰ منهم ذلك كله؛ لأنهم يقولون: لا إلـٰه إلا الله، [ولازم قولهم: إن اليهود أسلموا لأنهـم يقولونهـا][1] وأيضا كفر هؤلاء أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة؛ أعني البوادي المتَّصفين بما ذكرنا.

والذي يبين ذلك من قصة الرِّدة أنّ المرتدين افترقوا في ردَّتهم:

فمنهم من كذب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ورجع إلىٰ عبادة الأوثان، وقالوا: لو كان نبيًّا ما مات.

ومنهم من ثبت علىٰ الشهادتين؛ لكن أقر بنبوة مسيلمة ظنًّا أنّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أشركه في النّبوة؛ لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك فصدَّقهم كثير من الناس، ومع هـٰذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ولو جهلوا ذلك.

ومن شك في ردتهم فهو كافر.

فإذا عرفت أن العلماء أجمعوا علىٰ أن الذين كذبوا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ورجعوا إلىٰ عبادة الأوثان وشتموا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ومن أقر بنبوة مسيلمة في حال واحدة ولو ثبت علىٰ الإسلام كله.

ومنهم من أقر بالشهادتين وصدّق طُليحة في دعواه النبوة.

ومنهم من صدق العنسي صاحب صنعاء.

---

(1) نسخة أخرىٰ.

فكل هؤلاء أجمع العلماء أنهم مرتدون.

[ومنهم من كذب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ورجع إلىٰ عبادة الأوثان علىٰ حال واحدة.][1]

ومنهم أنواع أخر، منهم الفجاءة السلمي لما وفد علىٰ أبي بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين وطلب من أبي بكر أن يمده فأعطاه سلاحا ورواحل، فاستعرض السلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم، فجهز أبو بكر جيشا لقتاله، فلما أحس بالجيش قال لأميرهم: أنت أمير أبي بكر وأنا أميره ولم أكفر، فقال: إن كنت صادقا فألق السلاح. فألقاه، فبعث به إلىٰ أبي بكر فأمر بتحريقه بالنار وهو حي.

فإذا كان هـٰذا حكم الصحابة في هـٰذا الرجل مع إقراره بأركان الإسلام الخمسة، فما ظنك بمن لم يقر من الإسلام بكلمة واحدة إلا أنه يقول: لا إله إلا الله بلسانه، مع تصريحه بتكذيب معناها، وتصريحه بالبراءة من دين محمَّد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ومن كتاب الله [تعالىٰ]، ويقولون: هـٰذا دين الحضر، ودِيننا دين آبائنا، ثم يفتون هؤلاء المرَدَة الجهال أن هؤلاء مسلمون، ولو صرحوا بذلك كله، إذا قالوا: لا إلـٰه إلا الله. سبحانك هـٰذا بهتان عظيم.

وما أحسن ما قال رجل من أهل البوادي لما قدم علينا وسمع شيئا من الإسلام قال: أشهد أنَّا كفار يعني هو وجميع البوادي، وأشهد أن المطوّع الذي يسمينا أهل إسلام أنَّه كافر.

[تم والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم.][2]

والحاصل في هـٰذا الوضع أنه:

أولا: يجب الإقرار بالشهادتين، فإنه باتفاق أهل العلم والدين أنه لا إسلام لمن لم ينطق بالشهادتين: شهادة ألا إلـٰه إلا الله وأنّ محمدا رسول الله.

الثاني: يجب فهم معناهما، وكذلك يجب العمل بمقتضاهما.

وقد قدّمنا أمس أنّه يلزم في كون الشّهادتين عاصمتين للدّم والمال أمور وهي: لفظهما، ومعرفة معناهما، والعمل بمقتضاهما، والكفر بما يُعبد من دون الله، وكذلك تكفير من عبد غير الله.

الأمر الثالث: التأكيد علىٰ أنّه يجب علىٰ من أقرّ بالله ربًّا وبمحمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ رسولا وبالإسلام

---

(1) نسخة أخرىٰ.

(2) نسخة أخرىٰ

دينا أن يحترس وأن يحرص علىٰ هـٰذا الدِّين، ولا يغترّ بأنّ الإقرار بالشهادتين عاصم للدم والمال علىٰ كل حال.

ويدلّل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هـٰذا المعنىٰ بقصة الردة فإنّ المرتدين أصناف:

منهم من كذّب بنبوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: لو كانوا نبيا ما مات.

ومنهم من أطاع مسيلمة الكذّاب ظنا منهم أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشركه في الأمر -النبوة-.

وغير ذلك من الأصناف، فما كان من أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معهم من أئمة التابعين وأهل العلم والدين إلا أن أجمعوا علىٰ قتال جميع المرتدين ولم يفرقوا بينهم، حتىٰ ولو أنّ المسلم عَمِل جميع أركان الإسلام لكنه كذّب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمر من الأمور.

والحاصل أنه يجب علىٰ المسلم أن يكون إيمانه كاملا: قولا باللسان، واعتقادا بالقلب وعملا بالجوارح.

فقصة الردة تدلّ علىٰ ألَّا إلـٰه إلا الله لها حقوق وواجبات، يجمعها تصديق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفعل أوامره واجتناب نواهيه واعتقاد أن ما أخبر به كله حقّ وصدق، من غير تفريق بين الله ورسله، ومن غير تفريقٍ لواجبات هـٰذا الدين يقرّ بها جميعها، ومن ذلك اعتقاده أنّه لا نبي بعد محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الله أكمل له الدِّين وأتمه عليه، فترك النّاس علىٰ البيضاء التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ويُجلي ذلك ويزيده وضوحًا أنّ أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قاتل حتىٰ من منع الزكاة وقهرهم علىٰ أدائها، وهم قسمان:

- منهم من منعها بُخلًا بها.
- ومنهم من منعها جحودًا.

والمقصود أنَّ من جحد فرضًا من فرائض الدين فرضيَّته معلومة من الدِّين باضطرار فإنه يكفر بعد إيمانه وإن كان مقرًّا بما عدا ذلك. والله الموفق.

هـٰذه قصّة الفجاءة في الحقيقة غريبة علينا، تحتاج إلىٰ نظر في سندها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وما أحسن ما قال رجل من أهل البوادي لما قدم علينا وسمع شيئا من الإسلام قال: أشهد أنَّا كفار يعني هو وجميع البوادي، وأشهد أن المطوع الذي يسمينا أهل إسلام أنه كافر.**)

أقول في هـٰذا المقطع الأخير رد علىٰ دعاة التقريب في الحقيقة، الذين يقربون بين أهل الإسلام

الخالص من شائبة الشرك، وبين أهل الزيغ والانحراف.

فالإسلام الذي يقبله الله عَزَّوَجَلَّ ولا يقبل سواه، هو من أقرّ بجميع شرائع الدِّين بلسانه، واعتقدها بقلبه، وعمل ما استطاع منها بجوارحه؛ بل هناك من الشرائع لا يعذر أحد بتركها، مثل الصلاة والزكاة وصيام رمضان.

والمقصود الرّد علىٰ الجهلة الذين يظنون أنّ قول: لا إلـٰه إلا الله أو قولها مع معرفة معناها، أو قولها مع العمل بمقتضاها هو عاصم للدم والمال.

بل يجب علىٰ المسلم أن يفهم دين الله كما أنزله الله علىٰ رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وألا يدين لأحد من الخلق بعبادة فالعبادة هي محض حق الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا يزال إلىٰ هـٰذه الساعة أناس يدَّعون الإسلام؛ بل يُقرون بالشّهادتين ويقرون بنبوة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأنه لا نبي بعده؛ لكن يشركون: فيذبحون لغير الله، وينذرون لغير الله، ويستغيثون بغير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله؛ يستغيثون بالأحياء فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، ومنهم من يستغيث بالأموات ويقرِّب لهم القرابين ويسألهم تفريج الكُربات وقضاء الحاجات، ومع هـٰذا يزعُم من يزعم أنّهم مسلمون.

فليس أولئك بالمسلمين أبدًا، هم علىٰ دين أبي جهل، ومن سلف من صناديد الكُفْر من قريش ومن دان دينها، حتىٰ يدَعُوا هـٰذه الأوثان ويتبرؤوا منها ظاهرًا وباطنًا، وحتىٰ لا يعبدوا إلَّا الله وحده.

والله تعليقنا أن هـٰذا البدوي مسكين مغرَّر به وعلماء السّوء أو الجهال يقرونهم ما هم عليه من عبادة غير الله، ويزيّنُون لهم ذلك بأنكم أنتم مسلمون، ألستم تشهدون ألا إلـٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله! أنتم مسلمون؛ لكن يقرونهم علىٰ عبادة غير الله.

۞۞۞